ضرب مشروع المقاومة الاسلامية 'حماس'، لماذا ؟

27-9-2003

والإستراتيجية الإسرائيلية الآن تحاول خلط الأوراق في التعامل مع حماس والهدف الواضح من ذلك نزع كل الأغطية الاجتماعية والسياسية والنقابية وتلبيسها الشكل العسكري فقط لدفعها إلى حالة مقاومة واحدة، وبالتالي تسهيل ضرب كل بناها المختلفة، ولا شك أن ممارسة الفصل بين التخصصات كان ولا زال مفيدا في جعل فرض معركة اسرائيل على كل أطراف الحركة أو على الأقل نزع مبرراتها صعبا، وما تفعله اسرائيل هو دليل عجز اسرائيلي على عدم تمكنها من ضرب الجهاز العسكري التابع للحركة والذي يتحرك تحت الأرض.

بقلم إبراهيم أبو الهيجاء

1- خلل التفسير وفتح الشهية

إن اسرائيل كما يبدو فسرت الهدنة السابقة كمعطى هزيمة حاولت من خلاله القوى الفلسطينية شراء الهدوء مقابل السلامة، إن هذا التفسير الذي دعمته مراكز القرار والنخب الإسرائيلية في اليمين واليسار، أدى إلى فتح شهية اسرائيل لممارسة مخطط الإستهداف حتى يتم التركيع تحت مسمى هدنة جديدة، دون أي ثمن، فإسرائيل كان واضحا من تلاعبها في شروط الهدنة الماضية أنها استخفت بمفاعيل المقاومة الفلسطينية، وعندما حاولت قوى المقاومة الفلسطينية تعديل القناعات الإسرائيلية وإعادة الإعتبار لشروط الهدنة، أتت الضربات الإسرائيلية التي استهدفت اسماعيل ابوشنب، وكان القصد التأكيد على الفهم الإسرائيلي للهدنة هو (الهدوء مقابل السلامة)، وكأن سلامة الاشخاص هو هدف المقاومة وليس طرد الاحتلال ، وهذا كشف عن خلل اسرائيلي عميق في فهم الهدنة او فرض معادلة مختلفة لمعنى الهدنة بقصد جعلها شكليا هدنة وفي الجوهر هزيمة للمقاومة وبالتالي للقضية .

2- استغلال أجواء الحرب على ما يسمى الإرهاب

لتعزيز الخلط في الذهنية العالمية أن المقاومة الفلسطينية ما هي إلا جزء من منظومة "الإرهاب" الإسلامي، بقصد حرف القضية عن مسارها وحرف حماس عن اهدافها ونزع الغطاء الاخلاقي عن مقاومتها ، واسرائيل فعليا تحاول اقتناص الفرصة التاريخية التي اتت بعد الحادي عشر من سبتمبر لتأصيل ذلك ، مستغلة مايحدث في العراق وافغانستان لشراء الصمت الاميركي الذي أصبح هو الآخر شريكا في الإحتلال ومطادرة المقاومين، والخلاصة أن اسرائيل تستثمر في الوقت الذهبي الذي ترى فيه فرصة تاريخية يجب استغلالها لسحق المقاومة .

3- خلط الأوراق وسهولة الأهداف

إن الفصل الذي مارسته حماس بين جناحها السياسي والعسكري، بقدر ما كان ذكيا كان أيضا حقيقيا والتقاطع كان بين مختلف الأجهزة هو احترام التخصص والإنضباط في السياسيات والثوابت العامة، فحماس حركة واسعة الإنتشار لم تقصر جهادها على الشكل العسكري، بل كانت ولا زالت لها أذرع سياسية واجتماعية كروافع داعمة لمقاومتها ضد المحتل والاستهداف الإسرائيلي.

والإستراتيجية الإسرائيلية الآن تحاول خلط الأوراق في التعامل مع حماس والهدف الواضح من ذلك نزع كل الأغطية الاجتماعية والسياسية والنقابية وتلبيسها الشكل العسكري فقط لدفعها إلى حالة مقاومة واحدة، وبالتالي تسهيل ضرب كل بناها المختلفة، ولا شك أن ممارسة الفصل بين التخصصات كان ولا زال مفيدا في جعل فرض معركة اسرائيل على كل أطراف الحركة أو على الأقل نزع مبرراتها صعبا، وما تفعله اسرائيل هو دليل عجز اسرائيلي على عدم تمكنها من ضرب الجهاز العسكري التابع للحركة والذي يتحرك تحت الأرض.

4- دفع المقاومة إلى حالة دفاع واختباء

فإسرائيل التي قامت حروبها على الضربات الوقائية والاستباقية، تتصرف مع الشعب الفلسطيني وكأنها في حرب مع طرف محارب، وليس علاقة (احتلال – مقاومة)، ورغم أن هذا إخلال في منطق الاخلاق الدولية الحربية إلا أن اسرائيل تمارسه بدون تورع وبحماية أمريكية مبررة أو ساكتة عن كل التصرفات الإسرائيلية وهذا التصرف المتحرر من كل الضوابط يتعامل مع حركة حماس وكأنها طرف محارب يجب ضربه واستنزافه واستهداف كل قياداته و مؤسساته لدفعه إلى الاختباء والبقاء في حالة الإرتباك وبالتالي دفعه إلى حالة الإستسلام .

هزيمة الوعي الفلسطيني

تحاول اسرائيل من خلال القضاء على حماس أو تخويفها أو تركيعها، جعلها نموذجا لتخويف بقية القوى الفلسطينية، ومن ثم تخويف كل قطاعات المجتمع، وهذا يعكس سيادة منطق القوة والعنجهية لدى الإحتلال الإسرائيلي، واليمين الصهيوني على وجه الخصوص والهدف المتوخى من ذلك أمرين :

الإول : نفسي إرهابي يمكن من فرض معطيات الهزيمة والرضى بالإحتلال.

الثاني : نفسي فكري، بقصد فرض الهزيمة في الوعي الفلسيطيني وليس فقط في تأكيد حقائق القوة على الأرض .

6- القضاء على بنية التفكير والتوجيه

فاستهداف اسرائيل لرموز حركة حماس وتحديدا نخبة مثل الشيخ أحمد ياسين وهنية والزهار وقبلهم ابو شنب والرنتيسي وقبلهما جمال منصور وسليم هو استهداف للعقول المفكرة والموجهة في حماس، وهو محاولة لإضعاف الحركة وتحجيم دورها في الشارع الفلسطيني وهو مقدمة لسيناريو أخطر وأشمل يستهدف مجمل القوى الفلسطينية، هذا يدل على تفكير استراتيجي بالقضاء على ما تبقى من رموز السلطة وإعادة الإحتلال كليا، باعتبار التمهيد لهذا السيناريو يتطلب إنهاكا للقوى الفاعلة في الشعب الفلسطيني، لذا مايجري مع حماس هو استهداف لمجمل القوى الفلسطينية إسلامية وطنية وبمستوى القضية الفلسطينية.

7- اغتيال الحوار الفلسطيني

من جهة أخرى، استهدفت المجزرة عقول الحوار ودعاة الوحدة في فلسطين وهي تحاول من طرف خفي أن تبعد الصف الأول في حماس ليتقدم الصف الثاني ظنا منها أنها بذلك تستطيع أن تنفذ سيناريو الفتنة، وبالتالي تحيد الشعب الفلسطيني عن معركته الكبرى وتنزل به إلى مستنقع الخلافات التفصيلية والفتن الداخلية ، وهذا معطى يراهن على أن قضية حماس والشعب الفلسطيني هي متعلقة برجل يبقى أو شخص يذهب والمسالة دون شك تتعلق بحقوق وليس بشخوص، وهذا يدل على أن القيادة الإسرائيلية مرتبكة وقاصرة في التخطيط (فهم يريدون السلطة لأنها أفضل من حماس ولكنهم مضطرون لضربها لأنها تحمي الانتفاضة أو تسكت عن أفعال المقاومة)، ولكن الاستمرار في ضربها يضعفها واضعافها يؤدي الخيارات اكثر تشددا، وهكذا تبقى خياراتهم مرتبكة لأنها قاصرة عن فهم حقيقة مطالب الشعب الفلسطيني .

8- الفتنة او الانتحار

اسرائيل كما يبدو ليس عندها أثمان سياسية تعطيها، وخيار القوة ضدنا بات واضحا أنه خيار اليمين واليسار وكل ما يحدث هو مقدمات للضربة الكبرى، وسواء أقامت حماس بعملية رد أو لم تقم إسرائيل فلن يتوقف عدوانها وبالتالي التراجع عن الإنتفاضة بمثابة انتحار للشعب الفلسطيني، إذا علينا كشعب فلسطيني وقوى مقاومة أن نحدد خياراتنا وان نحسم أهدافنا وبالتالي وسائلنا، تجزئة المعركة لا تخدمنا وتفتيت الأهداف يضعف ثوابتنا، والخيار الوحيد المتبقي أمامنا هو الاستمرار في الانتفاضة والمقاومة حتى الشوط الأخير، لأن الاسستسلام لخيار شارون انتحار وانجرار السلطة لضرب حماس كشرط للاعتراف وإعطاء الميزات مخطط للفتنة، والمقاومة مع ارتفاع تكلفتها هو أفضل من الإنتحار أو الفتنة، وليس هناك خيار وسط كما يتوهم البعض، (فالهدنة) هنا لا يمكن انجازها تحت وقع الضربات.

9- محدودية خيار القوة

تستفرد اسرائيل الآن في ضرب حماس وتعلن أنها تستهدفها من رأسها إلى أخمص قدميها، ورغم أن هذا الاستهداف ليس بالجديد، لكن علينا الإعتراف أن الظروف المتاحة لاسرائيل الآن هي الأفضل في تحقيق سيناريو الإخضاع والتركيع، ولكن هذا لا يعني البتة أن يكون الحل هو الإستسلام بقصد الحفاظ على الذات، فهذه المحنة على قسوتها ستجلي المعركة رغم أن حماس ستدفع أثمانها، وعلى حماس أن تتمسك بالصبر والإحتياط وإحداث الردع المناسب والقوي، لأن أي خضوع لمنطق الإحتلال يعني المس بالقضية الفلسطينية، وحماس لم توجد إلا لمقاومة الإحتلال، ولقد أوضحت الهدنة الماضية أن اسرائيل عابثة بدمنا لا تقيم اعتبارا لأي هدوء سياسي أو تحرك إقليمي أو رغبة دولية، ومع الوقت وإحداث المزيد من الردع المقاوم سيجر اسرائيل على الإستسلام لليأس واستهلاك أساليب القوة، لأن خيارات القوة تبقى قاصرة عن سحق شعب يريد الحرية ويملك الحق.